الخط المعاكس

وليد الهودلي

قررت أن أغتنم ثواب حج وعمرة صباح كل يوم.. وبما أن الأمر له هذا المردود العظيم فلا شك في أنه يحتاج إلى مجاهدة شديدة.

كان قراري هذا بعد أن اهتزت كل مشاعري الإيمانية عندما بلغني حديث الرسول ﷺ : «من صلى الصبح في جماعة ثم قعد يذكر الله إلى أن تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له حجة وعمرة تامة تامة تامة، سمعت هذا الحديث وقررت إنزاله المنزل الذي يليق به وهو ساحة الفعل والتنفيذ .

صليت الصبح، وجدت نفسي تتثاقل.. فمي يتثاءب على مصراعيه .. عيناي ترنوان إلى (السرير) وترسل إليه رسائل الحنو والغزل الرقيق .. ولم يكن (السرير) خيابا فقد أشعل قصائد إغرائه .. بسط شذى عطره وبث حنينه في روحي .. أثار روحي بذكريات عزيزة حلوة مريحة.. وهنيئة.. يا رجل! النهار طويل، والحبسة طويلة.. أتتركني هكذا خالي الوفاض.. أموت بحسرة فراق أعز حبيب على فرشتي .. ماذا فعلت حتى تجافيني .. لماذا ضربتني بسياط الحرمان ؟ لا تضيع ساعة النوم الصباحية فإنها لا تعوض .. لماذا تتربع هكذا منفردا بعيدا عن حماي المنيعة؟! هيت لك! تعال إلى حضني الدافئ، ولا تحرم نفسك مما أحل الله لك!! لقد صليت الفريضة فهنيئا لك. لا تكن (حنبليا) زيادة عن اللزوم . سكر زيادة ..

اهتز قراري المبيَّت أمام هذه الإغراءات الجليلة .. القرار ما زال ساخنا في صدري .. ما زالت إرادتي تمسك به وتوقفه على قدميه.. يصد الهجمات العنيفة من (السرير) العنيد ..

قلت في نفسي: اجلس على الكرسي وإياك أن تتابع خطوات الكسل البليد . ما هي مصلحتك أيها السرير العاتي في إخضاعي لأحضانك التي بت أشك في نزاهتها؟ كل همك أن أستلقي في حناياك ثم تطبق عليّ بلفافاتك المميتة.. ألا يكفيك مني الليل كله؟ لماذا تصر على إلقاء غشاوتك على عقلي وقلبي؟ تعطل حواسي وتعيقها عن العمل من أجل لحظات التجلي والإبداع؟ يا لك من استعمار مكار تستعمر أجمل مناطقي. مناطق الخصب والجمال .. سأقاومك بكل ما أوتيت من قوة بإذن الله .

وجدت نفسي أجلس قبالة النافذة .. ويا لهول ما رأيت !! وكأني أشهد بزوغ الفجر لأول مرة.. الضياء يبسط نفوذه ، الليل ينسحب ويولي الأدبار.. الحياة تتقدم وتدب في خطاها في أركان الكون كله.. الحمام يتعالى هديله.. العصافير تغدو وتروح وتعبر عن فرحتها بزقزقة عالية. إنها تنطلق باكرا لتمارس الحياة فلماذا لا تفرح أيها .. الكل يفرح عندما تدب الحياة في الحياة وتخرجها من موتها المؤقت.. حتى النبات والجماد يعبر عن فرحه بالإشراق الذي يتبدى عليه عندما يصافح أشعة الشمس الذهبية.. الإنسان البليد هو الذي لا توقظه حركة الحياة ولا يأبه بها، ويلجّ في نومه ..

وقفت على مفترق طريق : لماذا لا أنطلق مع حركة الحياة في الخارج؟ أضم صوتي لإشراقة الشمس وللكوكبة الأرضية التي تعزف لحن الاستقبال للضيف القادم من السماء.. تفتح الشجر، ابتسامة الحجر، فرحة الطير وتنفس الصباح، إما أن أنضم إلى هذه الكوكبة أو أن أدير لها ظهري ، أدفن نفسي في السرير الميت، أطمس على روحي، أنتظر المطر من عالم الأموات، وأسير في الخط المعاكس لعالم الأحياء؟!

إذاً هذا هو قراري وتصميمي .. قرار لا رجعة فيه .. وتصميم لا حياد عنه ■